قول النبي صلعم ما انا من دد ولا الدد مني فان قيل كيف تحمل قوله لا ياذن الله لشي
كاذنه كذا وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع فاي معنى للاختصاص
قلنا ليس المراد هنا مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكانه عم قال ان الله   بالاستماع صح
لا يقبل او يثيب على شي من اهل الارض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم
هذا كلام لا اسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريد نفي القبول لا
الادراك والبيت الذي انشدناه يشهد بذلك لانه قال وان ذكرت بسوء عندهم
اذنوا ونحن نعلم انهم يسمعون الذكر بالخير والشر معا من حيث الادراك فوجه
الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر ابو بكر محمد بن القسم الانباري وجها ثانيا في الخبر
قال اراد عم من لم يتلذذ بالقران ويستحليه ويستعذب تلاوته كما يستحلي
اصحاب الطرب الغنا والتذاذهم به وسمي ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما
يفعل عند التغني بالمغني وذكر ان ذلك نظير قولهم العمايم تيجان العرب والحبى حيطان
العرب والشمس حمامات العرب وانشد بيت النابغه

بكاء حمامة تدعو هديلا   مفجعة على فنن تغني

فشبه صوتها لما اطرب
اطراب الغنا بالغنا وجعلوا العمايم لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك القول
في الحبى والشمس وجواب ابي عبيده احسن الاجوبه واسلمها وجواب ابي بكر
ابعدها لان التلذذ لا يكون الا في المشتهيات وكذلك الاستحلا والاستعذاب
وتلاوة القران وتفهم معانيه من الافعال الشاقه وكيف يكون ملذا مشتهى
فان عاد الى ان يقول قد يستحلي التلاوة من الصوت الحسن الحزين قلنا هذا
رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن
ان يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو ان نقول قوله عم يتغنى من غنى الرجل
بالمكان اذا طال مقامه فيه ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كان لم تغن بالامس
وكان لم يغنوا فيها اي لم يقيموا فيها قال الاسود بن يعفر الايادي

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة   في ظل ملك ثابت الاوتاد

وبيت الاعشى الذي انشده ابو عبيده وهو

وكنت امرءا زمنا بالعراق   عفيف المناخ طويل التغن

من طول المقام اشبه منه بالاستغنا لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغنا
بذلك فكان الاعشى اراد انني كنت ملازما لوطني مقيما بين اهلي لا اسافر للانتجاع

والطلب

والطلب ويجري قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصاري

اولاد جفنة حول قبر ابيهم   قبر ابن مارية الجواد المفضل

اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون
محالهم واوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القران ويتجاوزه
الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنا ومنزلا ومقاما فليس منا فان قيل اليس قد
يتعدى القران الى السنة والاجماع وساير ادلة الشرع فكيف يحضر علينا تعديه قلنا
ليس في ذلك تعد للقران لان القران دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة
الشرع فمن اعتمد بعضها في شي من الاحكام لا يكون متجاوزا للقران ولا متعديا له
فاما قوله عم ليس منا فقد قيل انه لا يكون على اخلاقنا واستشهد ببيت النابغه

اذا حاولت في اسد فجورا   فاني لست منك ولست مني

وقيل انه اراد ليس على
ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا الذي اخترناه وهو بعده بجواب ابي عبيده اليق
لانه محال ان يخرج عن دين النبي صلعم وملته من لم يحسن صوته بالقران ويرجع فيه او من
لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها مسله اعلم ان اصحابنا اعتمدوا في ابطال ما ظنه
اصحاب الرويه في قوله تعم وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة على وجوه معروفه لانهم
بينوا ان النظر ليس يفيد الرويه ولا الرويه من احد محتملاته ودلوا على ان النظر
ينقسم اقساما كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئي طلبا لرويته ومنها النظر
الذي هو الانتظار ومنها النظر الذي هو التعطف والرحمه ومنها النظر الذي هو
الفكر والتامل وقالوا اذا لم يكن في اقسام النظر الرويه لم يكن للقوم بظاهرها
تعلق واحتجنا جميعا الى طلب تاويل الاية من غير جهة الرويه وتاولها بعضهم على
الانتظار للثواب وان كان المنتظر في الحقيقه محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة
للعرب معروفه وسلم بعضهم ان النظر يكون بالبصر وحمل الاية على روية اهل الجنة
لنعم الله تعم عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقه وهذا كلام مشروح في مواضعه
وقد بينا ما يرد عليه وما يجاب به عن الشبه المعترضه فيه في مواضع كثيرة وههنا
وجه غريب في الاية حكي عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر
او الى تقدير محذوف ولا يحتاج الى منازعتهم في ان النظر يحتمل الرويه او لا يحتملها
بل يصح الاعتماد عليه سوا كان النظر المذكور في الاية هو الانتظار بالقلب او هو
الرويه بالعين وهو ان يحمل قوله تعم الى ربها على انه اراد نعمة ربها لان الالا النعم
وفي واحدها اربع لغات الى مثل رمى والي مثل معا والي مثل قفا والي مثل حسي
قال الاعشى بكر بن وايل

ابيض لا يرهب الهزال ولا   يقطع رحما ولا يخون الى

بدا انقسامات

اي لانه اراد انعم

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)